

واقع القراءات القرآنية في الجزائر في العهد العثماني

د. جيلالي الحيرش

جامعة تلمسان

الملخص:

تعتبر فترة التواجد العثماني بالجزائر من أهم المحطات التاريخية خاصة من الناحية العلمية والثقافية، ورغم ذلك فإن هذه القرون الثلاثة لم تحض بالعناية والدراسة من قبل الباحثين. وإن من بين العلوم التي حظيت باهتمام علماء الجزائر وساكنتها علم القراءات القرآنية؛ تلقينا وضبطاً وإجازة وتدويناً، وهذا البحث هو محاولة لرصد أهم العلماء الجزائريين الذين اهتموا بالقراءات القرآنية سواء من ناحية التلقين أو الكتابة والتأليف، ورصد لأبرز المؤلفات في علم القراءات القرآنية في العهد العثماني، لذلك ارتأيت أن تأتي الدراسة في مبحثين أساسيين، يعنى المبحث الأول برصد العلماء الجزائريين المهتمين بالقراءات القرآنية مع تعريف موجز بهم، ثم المبحث الثاني الذي سيكون الاهتمام فيه بأهم المدونات في علم القراءات مع بيان مناهج أصحابها فيها، مع خاتمة تورد فيها أهم النتائج.

كلمات مفتاحية: القراءات، القرآن، العهد العثماني، الجزائر.

Abstract:

The period of the Ottoman presence in Algeria is one of the most important historical stations, especially in terms of scientific and cultural. However, these three centuries were not attended to by the scholars and scholars. Among the sciences that received the attention of the scholars of Algeria and their inhabitants is the science of Quranic readings; Is an attempt to monitor the most important Algerian scholars who were interested in Quranic readings, both in terms of memorization, writing and writing, and monitoring of the most prominent works in the science of Quranic readings in the Ottoman era, so I thought that the study should come in two basic subjects, The first is to monitor the Algerian scientists interested in Quranic readings with a brief definition of them, and then the second topic, which will be the interest in the most important blogs in the science of readings with a statement of the curricula of their owners, with a conclusion to provide the most important results.

Keywords: readings, Quran, Ottoman era, Algeria.

مقدمة

تعدّ الفترة الممتدة ما بين 1520م إلى 1830م من أهم المحطات التاريخية خاصة من الناحية العلمية والثقافية في الجزائر، وذلك لكون الجزائر كانت منزلة لمختلف الثقافات، ونقطة عبور

لكثير من العلماء الرّحالة المسافرين بقصد الحجّ أو العلم، وكون هذه الفترة تكاد تكون لصيقة بسقوط دولة الأندلس؛ حيث صار الشمال الإفريقي مستقرّاً لكثير من الأعلام الهاربين من البطش الصليبي، وإنّ من بين العلوم التي حظيت باهتمام علماء الجزائر وساكنتها علم القراءات القرآنية؛ تلقينا وضبطاً وإجازة وتدويناً، إلا إنّ هذا الأخير لم يكن له حظّ وافر مقارنة بالأغراض الأخرى، وأقصد بذلك التأليف في علم القراءات القرآنية، ولعل هذا راجع إلى طبيعة هذا العلم كونه علم تلقّ ومشافهة، وهذه الدّراسة هي محاولة لرصد أهمّ العلماء الجزائريين الذين اهتمّوا بالقراءات القرآنية سواء من ناحية التلقين أو الكتابة والتأليف، ورصد لأبرز التواليف في علم القراءات القرآنية في العهد العثماني، لذلك ارتأيت أن تأتي الدّراسة في مبحثين أساسيين، يعنى المبحث الأول برصد العلماء الجزائريين المهتمين بالقراءات القرآنية مع تعريف موجز بهم، ثم المبحث الثاني الذي سيكون الاهتمام فيه بأهم المدونات في علم القراءات مع بيان مناهج أصحابها فيها، مع خاتمة تورد فيها أهم النتائج، والله ولي التوفيق.

توطئة

إن العناية بالقرآن الكريم أمر تكفّل الله تعالى به وتعهّد به في نفس هذا الكتاب المحفوظ؛ حيث قال جلّت قدرته وتعالّت عظمته: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وإنّ الله تعالى من سننه أنّه إذا أراد لشيء تكوين أن يهيأ له أسبابه ويسنّ له نوااميسه، وهو القادر على التكوين بلا سبب جلّ في علاه، وإنّ من الأسباب الجليلة التي هيّاها الله تعالى لحفظه هذا الكتاب الكريم رجال فتح الله قلوبهم على القرآن فأحبّوه وتعلّقوا به واعتصموا به وآمنوا بقدرته على حلّ كلّ مشكلاتهم مهما جلّت أو عظمت، فانكبّوا على حفظه وسخّروا أنفسهم وأوقاتهم في سبيل خدمته فبالغوا أشدّ المبالغة في حفظ أدقّ متعلّقاته؛ فحفظوا كلماته وحروفه على اختلاف قراءاتها، وضبطوا رسمه وهيأة كتابته المغايرة للكتابة الإملائية المعهودة وآلّفوا في ذلك الأراجيز والقصائد المعينة على ذلك.

ولقد نال أسلافنا في الجزائر من ذلك الشّرف نصيبه؛ فكان منها رجال كانت لهم حظوة من تلك الجهود المباركة المتعلّقة بخدمة كتاب الله تعالى سواء ما تعلّق بالحفظ أو التأليف في التفسير أو القراءات أو الرّسم العثماني، ويبدو جلياً أنّ هذا الاهتمام بدأ من أوّل ما وطئت حوافر خيل الفاتحين هذه الأرض المباركة، فكان القرآن وقراءاته تؤخذ من جيل إلى جيل عن طريق السّند والمشافهة وإجازة الشيوخ للتلاميذ كما هي سنّة الأخذ القرآني الأولى عن التابعين عن الصحابة

الكرام، عن سيد الخلق، عن الروح الأمين، عن ربّ العزّة جلّ في علاه، وتواصلت هذه السّنة في الإقراء يأخذها الأصاغر عن الأكابر عبر كلّ الفترات التي مرّت بها الجزائر وما عاصرها من فترات سياسية، لم تنفثها أيّ سياسة عمّا كانت عليه من الأخذ والتلقّي، يتلقّى فيها الطالب الجزائري عن شيخه القراءة بالسند المبارك، تُنشأ من أجل ذلك المعاهد والمدارس المختصّة لكلّ زاوية منها ومعهد نظامه الدّاخلي الخاصّ يقوم عليه المقادير وتؤطره الشّيوخ الأفذاذ الذين كانت تُشدّ لهم الرّحال شرق البلاد وغربها، إلى أن جاءت فترة الاستعمار الفرنسي المفسد الذي لو لم تكن منه إلّا هذه المفسدة لكفى بها شرّاً، فقد ساهم بشكل كبير في انقطاع السّند في هذه البلاد، وذلك من خلال العدّة المتكاملة التي أعدّها من أجل ضرب مقوّمات هذه البلاد في محاولة لطمس هويتها ومرجعيتها، والتي كان على رأسها القرآن الكريم¹، وأضحى بعد ذلك الاهتمام بالقرآن وتعليمه مقتصرّاً على الحفظ والرّسم العثماني الذي كان باقياً في الزوايا التي كتب الله لها البقاء، يأخذ الطّلبة القرآن فيها مشافهة وكتابة بالطّرق التقليدية المعهودة المتمثلة في الألواح، يعرف فيها الطالب شيخه وشيخ شيخه على أكثر تقدير ولا يتجاوزهما، مع قلّة العناية ببعض أحكام التّلاوة واللحن الخفي.

وما يهمّنا في هذه المداخلة هو الاهتمام بالقراءات والرّسم، في العهد العثماني، فلئن كانت أوضح علامة على الاهتمام بأيّ علم من العلوم تكمن أساساً في التّأليف؛ فإنّ التّأليف في القراءات القرآنية والرّسم عموماً كان قليلاً جدّاً مقارنة بالتّأليف في غيرهما من الفنون المتعلّقة بالقرآن الكريم كالترّسّم - مثلاً - لكن هذا لا يعني أن الاهتمام بها كان كذلك، بل لقد حفظ التّاريخ للجزائريين في عهد ما قبل الاستعمار الغاشم العناية العظيمة بالقرآن وقراءاته، فقد كان في الجزائر في العهد العثماني معاهد متخصصة في القراءات القرآنية ومن ذلك مدرسة زواوة ومازونة وتلمسان والقلعة، فقد كانت هذه الحواضر أقطاباً علمية يقصدها طُلاب القرآن والقراءات ينهلون منها بقصد الحصول على الإجازات في القراءات السبع المتواترة.

المبحث الأول: أهمّ أعلام الجزائر المهتمّين بالقراءات القرآنية

ويعنى هذا المبحث بعرض لأهم رجالات ومشيوخ الإقراء بالجزائر؛ وذلك من مختلف ربوعها الزّاهرة على مدى الفترة العثمانية، وفي ما يلي بيان لأهم هؤلاء البدور مع ترجمة موجزة بحياتهم.

الشيخ محمد بن شقرون بن أحمد المغراوي المعروف بالوهراني الحافظ، المقرئ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي نسبة إلى قبيلة مغراوة، المشهور بشقرون، وابن

أبي جمعة عرف بشقرون لأنه كان أشقر اللون أحمر العينين، ولد سنة 879 هـ، من أهم شيوخه الإمام الكبير شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي (ت 951 هـ) مقرر بلاد المغرب وصاحب المصنّف الذي يعد المرجع الأساس عند المغاربة في الإقراء (إنشاد الشّريد من ضوال القصيد) وهي حاشية على الشّاطبية.

وللوهراني عدة مصنفات أهمها (تقريب المنافع) الذي سنتطرق إليه في المحور الثاني من الدراسة².

محمد بن أحمد المصمودي؛ ومن المؤلفين أيضا في القراءات محمد بن أحمد المصمودي المتوفى سنة 897 هـ الذي وضع رجزا في القراءات سماه، "المنحة المحكية للمبتدئ القراءة المكية"

الشيخ سيدي عبد الرحمن الأيلولي أبو زيد بن محمد بن واعلي الخردوشي، المتوفى سنة 1105/1693م، مؤسس المعتمرة أو الزاوية المعروفة ببلاد القبائل سنة (1044هـ)، وقد كان المعهد إلى غاية الاحتلال الغاشم مركزا نورانيا يُخرّج الطلبة في القراءات القرآنية، ومن أبرز هؤلاء المشايخ سيدي أبو القاسم البوجليلي، تلقى سيدي عبد الرحمن تعليمه الأول على يد والده يسعد بن محمد ثم انتقل إلى زاوية أحمد بن إدريس، ثم تلقى القراءات على الشيخ امحمد السعدي البهلولي، كان فريد عصره في القراءات القرآنية سواء بقراءة السّبع أو العشرة³.

الشيخ أبو راس الناصري؛ العلامة المحقق الحافظ البحر الجامع المجاهد محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي⁴ الناصري كان رحمه الله ورضي عنه إماما في المعقول والمنقول وإليه يرجع في الفروع والأصول، ولد نواحي مدينة معسكر بين جبل كرطوس سنة 1165هـ/1751م والمتوفى رحمه الله شهر شعبان من سنة 1238هـ/1823م ودفن معسكر، شارك رحمه الله في جهاد العدو الإسباني وذلك في فتح مدينة وهران سنة 1206هـ/1795م إلى جنب الباي محمد بن عثمان، وقد كانت له رحلات علمية إلى العاصمة وقسنطينة وكذلك إلى فاس، ورحب به أهلها أيما ترحيب ثم تونس وكانت له رحلة إلى مصر، ومكة المكرمة شرفها الله تعالى.

للأمام أبي راس عدة تأليف في شتى الفنون أشار إليها في كتابه (فتح الإله) في باب سمّاه العسجد والإبرير، ففي القرآن وعلومه له (مجمع البحرين ومطلع البدرين في التيسير إلى علم التفسير في ثلاثة أسفار، وله في الرّسم والضبط تقييد على الخزّاز والدرر اللوامع والطّراز، وله في الحديث كتاب (الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات، ومفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها، وله في الفقه عدة تصانيف منها درة الحواشي على جيد شرحي الزرقاني، والأحكام الجواز في نبذ من النوازل،، وله في النحو: (النكت الوفية بشرح المكودي على

الألفية) وله كتب أخرى في التاريخ والتصوف والمذاهب والشعر العربي أحصاها الدكتور عبد الحق زريوح في إحدى مقالات بمجلة التراث العربي.⁵

الإمام التنسي: محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المعروف بالحافظ التنسي نزيل تلمسان ودفينها، اشتهر اسمه قديما وحديثا، وقد رجّح الدكتور محمود بوعباد صاحب تحقيق كتاب (تاريخ بني زيان) إلى أنّ مولد المترجم له كان بمدينة تنس⁶ التي أثبتها - كما ذكر - من خلال النسبة، وكذلك من خلال نص المقري وفيه: (حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله التنسي ثم التلمساني⁷)، وقد رجّح المحقق نفسه بطريق التخمين أن الإمام التنسي ولد حوالي سنة 820هـ الموافق لـ 1417م، اشتغل رحمه الله بالتدريس والإفتاء بتلمسان، فأما الإفتاء فيشهد لذلك تلامذته الذين أخذوا عنه، وأما الإفتاء فهو موقفه الشهير في قضية توات، فقد قلبت فتواه الموازين لصالح فرقة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي استفتاه وهو على قدره من العلم في قضية يهود توات، بل إنّ الإمام السنوسي على جلالة قدره في العلم لم يسعه حين استفتي في القضية إلّا أن يكتفي بتأييد فتوى الإمام التنسي، أخذ التنسي العلم عن جلة من العلماء المشهورين بالبصطة في العلم والتأليف ونذكر من ذلك محمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ)، والإمام أحمد بن زاغو التلمساني (845هـ)، محمد بن إبراهيم بن الإمام (ت 846هـ)، ومحمد بن العباس التلمساني (ت 871هـ) وغيرهم.

وأما التلاميذ فقد كانوا كثيرا، ومن ذلك نذكر: أحمد البرنسي الشهير بزروق (ت 889هـ) وأحمد بن داود الأندلسي، ومحمد بن صعد (ت 901هـ).

كان رحمه الله واسع الاطلاع جامعاً لجلّ علوم عصره من الحديث واللغة الأدب والشعر وعلوم القرآن والتفسير، تشهد لذلك مؤلفاته التي ألفها والتي من أشهرها (نظم الدي والقيعان في شرف بني زيان) و(الطراز في شرح ضبط الخراز) الذي سنتطرق إليه فيما بعد، والجواب المطول في مسألة يهود توات وكتاب (راح الأزواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح).

علي بن موسى بن هارون المظفري (ت 951هـ) تتلمذ على الإمام بن غازي الشاطبية الكبرى والتيسير لأبي عمرو الداني.⁸

حدو بن الحاج سعيد المناوي (998هـ) ذكر ابن أبي مريم أنه كان عالما بالقراءات، ومدرّساً للخزّز في الضبط.⁹

أبو العلاء المنجرة التلمساني (ت 1137هـ): هو الشيخ إدريس بن محمّد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الشريف المدعوة المنجرة ويكنى بأبي العلاء، ولد في مدينة فاس عام 1076هـ كان ماهراً بالقراءات

القرآنية رواية ودراية، ألف فيها التصانيف وتخرج فيها على يديه كثير من القراء، وهو متنازع النسبة بين فاس وتلمسان¹⁰.

أحمد بن ثابت البجائي التلمساني المتوفى سنة 1152 من (تصانيفه التفكير والاعتبار في الصلاة على النبي المختار)، و(الرسالة الغراء في ترتيب وجوه القراء)¹¹.

علي بن عبد الرحمن بن محمد الحفاف إمام المالكية بالجزائر في عصره أدرك الاحتلال الفرنسي والتحق بجيش الأمير عبد القادر، وعيّنه كاتباً خاصاً اجتمع بالشيخ دحلان من الشافعية في الحج سنة 1280هـ، وجرت بينهما مناقشة علمية حول حكم البسملة في الصلاة، ولما رجع إلى الوطن ألّف رسالة سمّاها (الدقائق المفصلة في تحرير البسملة) وله في القراءات كتاب نال القبول عند الطلاب سمّاها (منة المعتال في تكميل الاستدلال).

كما نبغ من حاضرة تلمسان جلة من العلماء كانت لهم عناية بالقراءات تدريسا وتأليفاً، ومن ذلك سليمان الورنيدي المعروف بأبي يعروب (ت 891) له باع في النحو والقراءات وتصدّر للإقراء، أخذ عنه موسى الزواوي.

وأحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب المناوي المدعو ابن الحاج (ت 930هـ) شيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي.

ومنهم محمد بن سعيد الحاج الكفيف المناوي (ت 955هـ) له باع في الفقه المالكي وأستاذية بالقراءات القرآنية، ومنهم محمد بن عبّو الورنيدي (ت 970هـ) النحوي المقرئ¹².

وأختم هذا المحور بإجازة للشيخ أبي القاسم البوجليلي (1826م- 1898م) صاحب كتاب التبصرة في قراءة العشرة كدلالة على خصوصية الإسناد الجزائري الذي ينتهي إلى الإمام عبد الرحمن بن القاضي الشيخ الذي تلتقي فيه أسانيد المغاربة وهو تلميذ عبد الواحد بن عاشر؛ الذي يرجع سند قراءته إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي الذي يرجع سنده إلى الإمام أبي عمرو الداني.

إجازة الإمام أبي القاسم البوجليلي؛

قرأ بها البوجليلي على الشيخ سيدي محمد الطاهر الجنادي، وهو قرأ بها على الشيخ سيدي أبي عبد الله محمد بن يحيى اليزرائي، وهو قرأ بها على الشيخ سيدي أبي عبد الله محمد بن بسّعي، وهو قرأ بها على الشيخ سيدي أبي محمد عبد الله بن خراط، وهو قرأ بها الشيخ سيدي ابن تريغت البعلوي، وهو قرأ بها على الشيخ سيدي أبي علي الحسن بن قديّ البعلوي، وهو قرأ بها على الشيخ

سيدي أبي عبد الله محمد بن عنتر البتروني الزواوي وله أيضا تقييد على العشر النافعية مخطوط، وهو قرأ بها على الشيخ سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن يسعد الأيلولي المصباحي الخردوشي الزواوي، وهو قرأ بها على الشيخ محمد السعيد الهلّولي الدّلسي، وهو قرأ بها على الإمام أبي زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي المكناسي ثم الفاسي، وهو قرأ بها على أبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الفاسي، وهو قرأ بها على أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي، وهو قرأ بها على والده أبي عمرو عثمان بن عبد الواحد بن عبد العزيز المكناسي، وقرأ بها ابن القاضي على أبي عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن زكريا التّملي السوسي الفاسي، وهو قرأ بها على أبي عبد الله محمد ابن عبد الله المستغاني، وهو قرأ بها على أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأرزوالي، وهو قرأ بها على أبي عمرو عثمان بن عبد الواحد اللمطي، وهو قرأ بها على الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي المكناسي ثم الفاسي⁽³⁾، وهو قرأ بها على أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الصغير النيجي، وهو قرأ بها على أبي الحسن علي بن أحمد الورتناجي الوهري، وهو قرأ بها على أبي وكيل ميمون بن مساعد المصمودي مولى أبي عبد الله الفخار، وهو قرأ بها على أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر اللخمي، وهو قرأ بها على أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي المالقي الأنصاري نزيل فاس، وهو قرأ بها على أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي الجياني، وهو قرأ بها على أبي الوليد إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل الأزدّي الغرناطي العطار، وهو قرأ بها على أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن حسنون الأندلسي الحميري، وهو قرأ بها على أبي محمد عبد الله بن خلف بن بقي القيسي القرطبي البياسي، وهو قرأ بها على أبي الحسين يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد بن البياز اللواتي المرسي، وهو قرأ بها على الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني القرطبي رضي الله تعالى عنه.¹³

والإمام أبو القاسم البوجليلي لا تزال له بقية أثر في شيوخ الإقراء بأرضنا ومن ذلك علامة الجزائر الشيخ الطّاهر آيت علجت سليل الإمام البوجليلي في القراءة.

المبحث الثاني: التّأليف في القراءات والرّسم

يعتبر التّأليف في علم القراءات القرآنية في الجزائر المحروسة أمراً عزيزاً كما ذكرنا آنفاً؛ فقد كانت العناية بدل ذلك بالتّدريس، خاصّة إذا ما تعلّق الحديث بالفترة العثمانية التي شهدت فيها الحركة العلمية والثقافية فتوراً ملحوظاً مقارنة بسابقتها من الفترات، نظراً لاهتمام العثمانيين بالجانب العسكري على حساب الجانب العلمي والثقافي، غير أنّ هذا لم يمنع من وجود بعض

الإسهامات التأليفية في ميدان القراءات والتي حظيت فيما بعد بالانتشار والمدارس، ولعلّ أهمّ المراجع التي عكف عليها الجزائريون بالمُدَارسَة والشرح والاستدراك هما لامية الإمام الشاطبي أبو القاسم بن فيّره في القراءات القرآنية وهي المعروفة بالشَّاطبية، والمسماة بحرز الأمان، وهي قصيدة في القراءات السبع لخصّ فيها صاحبها كتاب أبي عمرو الدَّاني في القراءات، والمرجع الثاني هو نظم في بيان رسم القرآن الكريم، المعروف بمورد الضمَّان، لصاحبه الشريفي المعروف بالخرَّاز المغربي، وفيما يلي بيان لأهم المؤلفات في القراءات القرآنية والرَّسم.

مؤلفات الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (ت 895هـ) والمتمثلة في شرح الشاطبية (حز الأمان) ووجه التهاني في القراءات السبع، ومختصر في القراءات السبع، وهما في حكم المفقود.¹⁴

تقييد قراءة الإمام عبد الله ابن كثير من روايتي قبل والبزي عنه فيما خالف نافعا من روايتي قالون وورش عنهما، لمحمد بن أحمد المصمودي، ثم نظم الكتاب في قصيدة سمّاها (المنحة المحكية للمبتدئ القراءة المكينة)، تعرّض فيه إلى الأوجه التي خالف فيها الإمام ابن كثير الإمام نافع الدني، وهي قصيدة من الرجز استهلّها بقوله:

يقول عبد العظيم الجود	محمد بن أحمد المصمودي
وبعد فالقصد بذا النظام	تقريب فهم مقرأ الإمام
الفاضل السني عبد الله	نجل كثير ذي الثنا والجاه
نزىل مكة التي قد شرفت	بالبيت ذي الأمن العميم واكتفت
وذا كيفما خالف الإماما	المرتضى نافعا على ما

ذكر الدكتور مهدي دهيم أنه قام بتحقيقه.¹⁵

سربال الرّدة فيمن جعل السبعين لرواة الإقراء كذا عدّة: للإمام عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية، وهو تأليف وصفه أبو القاسم سعد الله بانه غني بالآراء والنقول حيث عالج فيه أنواع القراءات ورواتها وغير ذلك مما يتصل بموضوع القراءات القرآنية، وطريقة النطق بالتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند ختم القرآن، وسبب التأليف هو مناقشة جرت بينه وبين أحمد بن حسن الغربي من علماء قسنطينة آنذ حول مسائل في القراءات ألف على إثرها هذه الكرّاسة.¹⁶

الطراز في شرح الخراز: وهو شرح على (مورد الضمَّان في رسم أحرف القرآن)، وهو نظم في ضبط رسم القرآن الكريم، وما قام بشرحه محمد التنسي هو قسم من أرجوزة طويلة خصص منها

صاحبها الخراز 454 بيتا للرسم، والباقي وهو 154 بيتا للضبط، وقد شرح التنسي القسم الخاص بالضبط الذي يعنى بالحركات والسكون والشّد والمدّ والسّاقط والزّائد وقد استهل التنسي شرحه بالباعث على هذا التأليف، حيث يذكر أنه رأى أنّ من تناول نظم الشريشي المعروف بالخراز، إما اختصره اختصارا مخلا، وإما أطال فيه إطالة مملة، لذلك عزم هو على وضع شرح على نظم الخراز يكون وسطا بين الاختصار والإسهاب ويكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبيه، والمخطوط المتمثل في النظم وشرحه موجود بالخزانة العامّة بالرباط رقم ص 972.¹⁷

تقييد على قراءة نافع من روايتي عيسى قالون وعثمان ورش للإمام محمد بن توينت العبادي التلمساني (1118هـ). الكتاب قام بتحقيقه الأستاذ خالد بوحلفاية في رسالة ماجستير جامعة الحاج لخضر، باتنة.¹⁸

تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع للإمام محمد بن شقرون الوهراني، وهي عبارة عن نظم، ألفه وهو ابن عشرين سنة، أورد فيه الشيخ الطرق المروية عن نافع المدني، ثلاثة طرق معزوة للإمام ورش وثلاثة طرق لقالون، وطريقين لراوين آخرين عن نافع وهما إسماعيل الأنصاري، وإسحاق المسيبي فكان المجموع عشرة طرق، افتتحها بقوله:

بدأت بحمد الله معتصماً به	نظاماً بديعاً مكملًا ومسهلاً
وثبتت بعد الصلاة على الرضا	محمد وآل والصحب أشملاً
وبعد فلما كان مقراً نافع	أجل مقارئ القرآن أفضلًا

إلى أن قال:

أتيت بنظم في روايته التي	بعشر سميت كيما يكون محصلاً
رواية ورش ثم قالون مثله	الأنصاري إسماعيل إسحاقهم ولا
والاثنتان منهم ثلاثه	لكلّ وباقيهم له اثنتان فاعقلا

وقد قسّمها إلى أبواب بدأ بعد المقدمة بالإستعاذة ثم البسملة ثم أورد باقي الفصول المتعلقة بالقراءات، والقصيدة منقولة كاملة في كتاب قراءة نافع عند المغاربة لعبد الهادي حميتو في الجزء الثالث منه، وذكر الأستاذ ابو القاسم سعد الله أنه اطلع على مخطوط للنظام لعلّه يكون شرحاً للقصيدة¹⁹

الرسالة الغراء في ترتيب وجوه القراء: للإمام أحمد بن ثابت تلميذ الشيخ محمد بن توفيق السلف الذكر، وهي رسالة قام بتحقيقها الأستاذ ياسين مبشيش في مذكرة ماجستير: بقسم اللغة والدراسات القرآنية، كلية العلوم الإسلامية: جامعة الجزائر 1: 2008، وقام بتحقيقها من قبل الأستاذ عبد العظيم محمود عمران رسالة ماجستير بكلية دار العلوم، القاهرة ونشرت عام 2006. وتعتبر الرسالة الغراء مؤلفا في القراءات السبع؛ حيث ناقشت هذه الرسالة أهم مسألة في علم القراءات ألا وهو التحريرات في وجوه الأداء وبيان المقدم أداء عند هؤلاء الأئمة القراء السبعة وبيان روايتهم الآخذين عنهم.²⁰

ونختم القائمة المباركة بإنتاج الإمام المخضرم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن الحفاف الذي ألف - كما أشرنا سابقا- مؤلفا في القراءات ضخما وسمه (مئة المتعال في تكميل الاستدلال) الذي تناقلته الركبان وواظب هو نفسه على تدريسه طيلة حياته، استهل تأليفه بقوله: (الحمد لله الذي شرفنا بتلاوة كتابه، وتفضل علينا بخدمته وفهم خطابه والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد أفضل من بلغ الكتاب وأشرف من بعث بفصل الخطاب وعلى آله وذريته والأصحاب...)، إلى أن قال رحمه الله: "لما كان (غيث النفع) للشيخ سيدي علي النوري خاليا من الاستدلال بكلام الإمام أبي القاسم الشاطبي وكان إنشاد الشريد للشيخ سيدي محمد بن غازي مقتصرًا على ضوَالِ القصيد أردت أن أجعل تأليفا أن أجعل تأليفا مشتملا على تمام الاستدلال بما في المحل مع زيادة ما يسره الله قاصدا وجه الله لنفع الإخوان..." والمؤلف جاء في (467) صفحة، انتهى منه مؤلفه سنة 1982 للهجرة²¹.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي عرجت فيها على ذكر أهم مشايخ الإقراء وأثارهم إبان الفترة العثمانية، فإنني أضع في آخرها أهم النتائج المتوصل إليها وكالاتي:

- أولا: لمسنا من خلال ما ذكر مدى عناية الجزائريين بالقرآن الكريم وتحفيظه ومدارسه والعناية بقراءاته.
- ثانياً: القراءات القرآنية والقرآن خاصّة برواية ورش عن نافع كان السند فيها متصلا بالحضرة النبوية؛ سندا مغاربيّا بامتياز نالت منه يد الغدر والاستعمار وذلك بالتسبب في انقطاعه إثر الحملة المبيّة لفصل هذا الشعب الأبي عن أهم مقوماته والتي هي الدين واللغة.

- ثالثاً: إنّ القرآن الكريم ورغم الحملة الحاقدة لمحاربته في الجزائر إلّا أنّ ظل إلى الآن يُتناقل من جيل إلى جيل بالمشافهة والتلقّي ولو أنّ شروط الإجازة غير مستوفاة، وهي المتمثلة في انعدام اللحن الخفي.
- رابعاً: اهتمام الجزائريين بالتأليف في الفترة العثمانية كان قليلاً جداً مقارنة بالتأليف في غيرها من الفنون، ندرة لعل سببها هو طبيعة النظام العثماني الذي كان راغباً عن الاهتمام بالجانب العلمي والثقافي، وكذلك ما كانت تتعرض له المحروسة من حملات عدوانية إسبانية شغلت الناس عن التأليف.
- خامساً: رغم هذه الاسباب التي ذكرت إلّا أنّ ذلك لم يمنع من وجود إسهامات تأليفية كان لها الأثر البارز في المدرسة المغاربية في الإقراء والتي نالت القبول والاهتمام من أصحاب هذا الفن.

الهوامش:

- 1- ينظر : دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين، سالم بوحامدي، ط1، 2009، مكتبة الإمام مالك، ص 28.
- 2- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، 2/ 22 .
- 3- ينظر: أعلام من زاوية إيقاؤون، أحمد ساحي، طباعة الثورة الإفريقية، الجزائر، ص 80 وما بعدها، وجهود علماء الجزائر في خدمة القراءات زوازة انموذجاً، مهدي دهم.
- 4- نسبة إلى مؤسس مدينة معسكر راشد بن المرشد القرشي.
- 5- ينظر ترجمته، في البستان لابن أبي مريم، أبو راس الناصري، عبد الحق زريوح، مقال منشور بمجلة التراث العربي، عدد 98، جمادى الاولى 1426هـ/ 2005م، ص 230، تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي، مطبعبير فونتانة الشرقية، 1906، 2/ 167.
- 6- مدينة ساحلية شمال ولاية الشلف.
- 7- نفح الطيب، المقرئ، دار صادر- بيروت - لبنان، 2/ 574.
- 8- جهود علماء تلمسان في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ماحي قندوز، مداخلة مقال منشور بموقع المنهل الإلكتروني تحت الرابط التالي: <https://platform.almanhal.com/Reader/2/70826>
- 9- المرجع نفسه.
- 10- ينظر: كتاب إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، إلياس بن أحمد حسين الساعاتي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421 هـ - 2000 م، 2/ 90، ومهدي دهم، المرجع السابق.
- 11- ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، 1/ 173.
- 12- ينظر: جهود علماء تلمسان في خدمة القرآن الكريم وعلومه، المرجع السابق

- 13- ينظر: الأعمال الكاملة للمهدي البوعبدلي، جمع: عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، 78 / 3، والسند منقول من موقع تفسير الإليكتروني، وهو مأخوذ من سند علامة الجزائر الشيخ الطاهر آيت علجت، تحت الرابط التالي: <https://vb.tafsir.net/tafsir53983/#.WoLUOrOerIU>
- 14- ينظر: مهدي دهيم، جهود علماء الجزائر في خدمة القراءات القرآنية وعلومها مدينة تلمسان نموذجاً، مداخلة بالملتقى العلمي الثالث لطلاب الدراسات العليا، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، 1432هـ.
- 15- ينظر: مهدي دهيم، المرجع نفسه، وتاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، 120/1.
- 16- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، 24 / 2.
- 17- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، 120 / 1.
- 18- مهدي دهيم، المرجع السابق.
- 19- ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، 22 / 2، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م، 66 / 3، وقراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2003، 381 / 3.
- 20- ينظر الرسالة الغراء في ترتيب وجوه القراء، أحمد بن ثابت، تحقيق: عبد العظيم محمود، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة/ مصر، 2006م، الصفحات الأولى (مقدمة التحقيق).
- 21- ينظر: الأعمال الكاملة للمهدي البوعبدلي، 78 / 3.